

قضية اليوم

أنفلونزا حصارياك
خنازير ولو... طارت

في الوقت الذي أعلنت فيه منظمة الصحة العالمية، الأسبوع المنصرم، انتقال العالم «إلى مرحلة ما بعد الجائحة (الوباء)» بالنسبة إلى أنفلونزا الخنازير، كان «ر. أ. س»، ابن بلدة حصارياك وصاحب مزرعة دجاج غير نظامية فيها، ينام منذ ثلاثة أسابيع في غرفة معزولة في قسم العناية الفائقة لمستشفى المعونات بجبيل، موصولاً بأجهزة تنفس، ومنوماً اصطناعياً لئلا تتضرر رئتاه أكثر مما هما متضررتان... بالفيروس نفسه

حصارياك - ضحك شمس

اللافتة المزروعة عند مدخل بلدة حصارياك لافتة فعلاً. بل هي على الأصح غابة من لافتات صغيرة تحمل أسماء المصانع التي نبتت كالفطر في واحدة من أجمل بلدات بلاد جبيل المطلة على البحر. وتشبيه انتشار المصانع في حصارياك بالفطر ليس مجرد استخدام لصورة مجازية مستهلكة. فبلدة القائد الشبوعي الراحل فرج الله الحلو شهدت خلال العقود الماضية غزواً فوضوياً صناعياً أتى على غاباتها الصنوبرية التي نبتت مكانها غابة من نوع آخر: 54 مصنعاً في بلدة لا يتجاوز عدد سكانها ألف نسمة، أي بمعدل مصنع لكل 18 شخصاً؛ «تتدارك» حصارياك مستقبلها، فتتحول تدريجاً، من بلدة جميلة ضائعة بين أشجار الصنوبر وبيوت القرميد والحجر، إلى مزيج من «جنة صناعية» على وزن «جنة ضريبية»، واستدراكات قانونية لإعادة تصنيف المنطقة وفق خريطة مخالفات تحولت إلى أمر واقع. ماذا يفيد الجمال الطبيعي لحصارياك أهلها في ظل تهميش الأطراف الذي وحده، من بين كل كليشيهات النفاق الرسمي، لا يفرق بين المذاهب؟ لا شيء. كان كل تلك المصائب لا تكفي، فإذا بمصيبة إضافية تقع على رؤوس الأهالي، فيين 20 و21 تموز الماضي، أدخل ر. أ. س، صاحب مزرعة دواجن غير نظامية، «العناية

الفائقة إثر انهياره من شدة المرض غائباً عن الوعي، وهو ينتظر أن يدبر له الطبيب سريراً»، كما قال لنا رئيس البلدية عقل الحلو. أدخل الرجل في ما يشبه الكوما الاصطناعية بطلب من طبيبه لإراحة رئتيه، فقد «أهمل حالو كثير» كما يجمع أهل قريته، وهو الأمر الوحيد الذي يجمعون عليه في رواية ما حصل لصاحب مزرعة تربية الدجاج، إضافة إلى حيرتهم في مصدر مرضه المعلن: H1N1 أي فيروس أنفلونزا الخنازير. لم الخنازير وليس أنفلونزا الطيور؟ وخصوصاً أن عدداً كبيراً من طيور «الفوج الأخير» نفق قبيل دخوله المستشفى بأيام لأسباب غامضة؟ لا أحد يعلم. ماذا عن البلدة وأهلها الذين نزع بعضهم منها في انتظار تكشف حقيقة الفيروس الذي لم نسمع عنه شيئاً في الإعلام؟ لم التعقيم والكتمان وهما البيئة الخصبة للشائعات؟ وما مدى خطورة ما حصل على السلامة العامة؟ تلف السيارة بنا منعطفات طريق أسفلتي يصعد صوب المزرعة في أعلى البلدة. المشهد على الطريق يؤكد انطباعك الأولي: حركة بناء المصانع «مستشرية» في تلال حصارياك. «هونيك» يقول عامل في ورشة بناء مصنع بوبا من طبقات عدة، مشيراً إلى مبنى «جائر» هندسياً بين المستودع والقبو، خط على أحد جدرانها بالبوبا الحمراء: «مزرعة روكز». تتوقف السيارة مقابل الباب الحديد المقل.

تترجل لتجد نفسك واقفاً وسط كومة من ... براز الدجاج القديم المتحول إلى ما يشبه التبن الجاف. «تعثّر» الخطوة الأولى لم يمنعنا من أن «نكرج» نزولاً باتجاه منزل الجيران الأقرب. يتضاحك عمال البناء العاكفون على العمل في بناء ملحق بمصنع للخشب، مقابل المزرعة المقللة، لمشهد نزولنا بتأن شديد خوفاً من السقوط نظراً لانحدارها الشديد. عامل هندي بينهم يشير إلى تحليق... هليكوبتر عشية وصولنا، وقد رشت ما يظنه مبيدات فوق منطقة المزرعة. يؤكد بقية العمال الأمر.

الجوار الأقرب إلى المزرعة كان مايز عبيد. تفاجأ باللهجة العكارية للمزارع السني الذي يسكن البلدة منذ بضع سنوات فقط. كان الرجل منهمكاً هو الآخر بالإشراف على ورشة بناء مجاورة لمنزله الواقع أسفل التلة، فيما جلست زوجته في الطبقة العارية من البناء، تصب شاياً في أقداح للعمال. صياح ديك جذب انتباهنا إلى قن صغير كانت بعض الدجاجات البلدية تفوقى فيه، تسألهم إذا كانوا حتى الآن يربون دجاجاً هنا، رغم ما يتردد عن إصابة بلدتهم بفيروس قد يكون أنفلونزا الطيور، فتجيب العجوز بثقة: «جاجاتنا بلديات!» مضيئة أن مزرعة أخرى للدجاج، على بعد خمسين متراً من الأولى، لكنها نظامية، بدورها ما زالت مستمرة. لا يخفي جيران المزارع المريض، الذي

وصفه العديد هنا بالبسيط ولكن بالصعب المراس، أن جيرته كانت صعبة عليهم. «قبل كل حساب، يقول مايز وهو يجلس فوق بضع أحجار خفان تنتظر دورها لتصبح جداراً، تقاثلنا معه كثير بسبب الريحة. زخعة قد ما بدك. كان يشطف بعد كل فوج (فراريج) وتنزل الماء علينا. ما كان بدنا عداوة لأننا جدد بالمنطقة. ومنذ سنة ونصف اتفقنا حياً مع أخيه وتحدينا إلى البلدية فجاء مهندس وركب شفاطات». ثم: «من شهر ونصف تقريباً لم نسمع إلا أن «ر» مريض وتعبان كثير، وأنهم يريدون تعقيم مزرعته. كانت كل الضيعة مخضوضة. جيراننا من بيت دربان إجو نهار المشكلة، وعادوا فلوا دغري وما رجعوا. جيران أهلو هربوا أيضاً كام يوم، زوجته وزوجة أخيه في بيت أهلهم حتى اليوم مع الأولاد. الناس توقفت عن زيارتهم». تصل كنة العائلة على ما يبدو، وهي تحمل صبينة عليها أكواب يهتز فيها العصير على وقع خطواتها، فتنقبض قلوبنا لإحراج ضيافة خطيرة. تبادرنا: «قالوا إن وزارة الصحة إجت عقت المزرعة. أليس من المفروض أن يطمئنا علينا ويطمئنوننا، ونحن الأقرب إلى المزرعة؟ بعدين فروج الهوا (تشيكن) مفروض يجي يحيكي، لأنو مسؤول عن الفراريج»، تسألها كيف؟ فتقول: «هو من يعطي أصحاب تلك المزارع أفواجا من الصيصان لتربيتها». تسأل الكنة

التي لا تفكك تدعوننا لشرب العصير، محاولين تغيير الموضوع، إن كانت قد زارت ابن بلدتها المريض، فتنفي مبررة «أنا عندي طفالي!». ولكن هل كانوا يعرفون حقيقة إصابته؟ «كل حدا بيقول شي»، يجيب مايز، «ساعة بيقولوا أكل لحم خنزير نيء (قال كان الخنزير أكل جردون مصاب بالطاعون يضحكون)، إنو هالخنزير اللي أكل جردون ما حدا أكل منو غير (ر)؟ حتى البلدية لما عرفت بمرضو قالت مش من الدجاج!!» تساله ونحن نرى الغبار على الشجر، كيف يسكن في منطقة صناعية مثل هذه؟ يجيب: «لما اشترينا كانت الأرض عادية للسكن. لعبوا بالتصنيف وصلت الصناعة لعنا. بعدين (ر) ما عندو ترخيص. المزرعة مش لآلو. لما صار المشكل ما عاد (الهوا) عطاء صيصان».

مهرجان ما بعد الإصابة

مزرعة «ر»؟ يقول: «أكيد لا. اتصلنا بوزارة الزراعة وأتوا فوراً وأخذوا عينات وكانت النتائج سلبية في المزرعة». ولكن قال الناس إن هناك من نظف المزرعة ليلاً قبل وصول الوزارة، إضافة إلى أننا لا نعرف أين دفن الطيور النافقة. يجيب: «أنا ساكن بالضيعة وبعرف شو بينحكي. هذه خبرية غير جدية. نحن مستغربون صراحة من أنها أنفلونزا الخنازير. توقعنا كلنا أن تكون أنفلونزا الطيور. ولكن لا». وماذا عن إبلاغ منظمة الصحة العالمية؟ يجيب: «تكلنا إليهم وأخذنا رأيهم وماذا يجب أن نفعل، ونسقتنا معهم كوزارة صحة لتدارك أي إصابات إضافية».

كان لديه عامل (أجنبي؟) ربما هو من نقل الفيروس إليه. لا أعرف، إلى أن يستفيق سيخبرنا». نتصل بطبيب القضاء، شوقي الحلو، ونسأله عن الإجراءات التي اتخذتها وزارة الصحة للسلامة العامة فيجب: «عزلنا المريض بالدرجة الأولى، وبدأنا نعطيه تاميفلو... الإصابة كانت غريبة لأنها في غير الموسم، أما بالنسبة إلى السلامة العامة، فقد أعطينا كل من احتكوا بالمريض علاجاً، والحمد لله مشي الحال. كذلك قلنا للناس: ما تقربوا على أهلو حتى تطلع نتائج الفحوصات. وطلبنا إلى الأهل أن يتقبلوا عزلة مؤقتة، وهو فيروس عادي إذا بدأنا باكراً بالعلاج». وهل يرجح أن يكون سبب الإصابة

الخطورة بمكان السماح بتجمعات كبيرة في البلدة المصابة. كان ممكن أن تسبب كارثة». أول ما يقوله لنا طبيب المريض «ر» إنه لا يستطيع أن يُفشي حالته الصحية التزاماً بسر المهنة. لكن أليست قضية سلامة عامة؟ يقول: «حتى الآن يفصل آلا نحكي بالإعلام. نحن في مرحلة ضبط الأمور اجتماعياً وصحياً». يضيف: «المريض في مرحلة الشفاء ولا أحد غيره مصاب». لكنه لم يفحص غيره وغير عائلته. يقول: «لا شك كانت هناك إدارة سيئة للمزرعة ناتجة من ثقافة صحية ما. بداية كاختصاصي ظننت أنها أنفلونزا الطيور، لكن فحص أنفلونزا الخنازير كان إيجابياً. يقال إنه

يقول د. زهير برو، رئيس جمعية المستهلك، إن الخطوة الأولى التي يؤسس عليها في كيفية التصرف هي جسم نوع الفيروس: «إن كان أنفلونزا طيور في بيئة تُربى فيها الكثير من الطيور، طبعاً عندها يجب اتخاذ إجراءات وقائية لجهة التخلص من الطيور وكل ما يستتبع ذلك من إجراءات حدتها وزارة الصحة. أما إذا كان أنفلونزا خنازير فالموضوع أقل خطورة، إلا في حال ظهور حالات جديدة في البلدة. فإذا ظهرت، يجب اتخاذ إجراءات طوارئ جدية. أما بالنسبة إلى موضوع المهرجان، فقد كان القرار باستمراره خاطئاً تماماً، وخصوصاً أنه جاء بعد معرفة نوع الفيروس الذي ينتقل بالعدوى. وكان من